عن زوال الجاه والرياسة فلذلك قدم ابطالها في اول الوهلة وعن الثانية بان المفاوتة في الفضل انما هي بيد الله
والله يؤتي فضله من يشاء فظهر من هذا السوق ان معنى الظاهر ان ما فعميت عليكم الا انه وحد
الضمير لان البينة والرحمة وان كانتا متغايرتين بحسب المفهوم الا انهما متحدان بحسب الذات فان المراد بهما
البرهان الدال على نبوته عم وهو بينة باعتبار انه شاهد على دعواه ورحمة باعتبار انه ينتفع به وعلى
تقدير ان يكونا متغايرين ذاتا ايضا بان يراد بالبينة المعجزات الدالة على صدق دعواه وبالرحمة نفس النبوة
وحد الضمير ايضا لرجوعه الى البينة ولم يتعرض لخفاء الرحمة لاستلزام خفاء البينة خفاءها او لرجوعه
الى الرحمة التي هي النبوة ولم يذكر عماء البينة للاختصار وتقدير الكلام فعميت النبوة عليكم بعد قيام البينة
عليها قوله وقرا حمزة والكسائي وحفص فعميت بضم العين وتشديد الميم على ما لم يسم فاعله فاصله عماها الله عليكم
اي انها عمي بذلكم على تقصيركم في اختيار الحق ثم بني الفعل للمفعول وحذف فاعله للعلم به
واقيم المفعول وهو ضمير الرحمة او البينة او كل واحد منهما مقامه وقرا ابي فعماها بفتح العين وتخفيف الميم
والمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي دليل القوم في المفازة عليهم فكيف يهديهم فان الحجة كما توصف
بالابصار اذا كانت معلومة جلية لانها هادية كالمبصر قال تعالى فلما جاءتهم اياتنا مبصرة كذلك توصف
بالعمى اذا كانت مجهولة خفية لكونها لا تكون هادية قال تعالى فعميت عليهم الانباء قوله وحيث اجتمع ضميران
اي قد اجتمع في انلزمكموها بعد الضمير المرفوع ضميران منفصلان وقدم الاعرف منهما وهو ضمير المخاطب وهو
اعرف من ضمير الغائب ولو قدم ضمير الغائب لانفصل ضمير المخاطب وجوبا ثم قال عم لقومه يا قوم لا اسألكم عليه
فيما ادعوكم اليه ولا مودتي صورة من يطمع في اموالكم والرياسة في اموركم بما عليكم فتظنوا بي الكذب
وما اجري على الله بناء على سعة فضله وكرمه فلذا اعمل ومنه ارجو فباي عذر لا تقبلون ما ادعوكم اليه
والطرد الا ابتغاء على وجه الله قوله حتى تجحدكم فضلنا غاية للنفي وهو ادعاء فضلهم عليهم بملك الخزاين فان
عم لو ادعى ذلك لجاز لهم ان يقولوا ما نرى لكم علينا من فضل قوله عطف على عندي لا على اقول لانه لا يستقيم ان يقال
لا اعلم الغيب حتى تكذبوني وانما يستقيم ان يقال لا اقول انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا وانما يستقيم
عطفه على لا اقول ان لو كان المعنى لا اعلم الغيب حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي قوله وما انتم
بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه في الابتلاء فان احدا لا يعجز اي لا يمنعه مما اراد ان يفعله والمعجز الذي
يفعل ما عنده فيتعذر مراد الغير فيوصف بانه اعجزه فقوله تعالى وما انتم بمعجزين اي لا تستطيعون الى ان تعجزوا
ما عندكم فتمنعوا على الله ما يشاء من العذاب ان اراد به بكم قوله شرط ودليل جواب
ان انصح لكم شرط جزاؤه محذوف وما قبله دليل الجزاء ولم يجز جعله جزاء عند البصريين فانهم لا يجوزون تقديم الجزاء على الشرط
وكذا جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم محذوف حذف بدلالة الجملة الشرطية المتقدمة عليه وتقدير الكلام ما
ذكره فيكون الاية الكريمة نظير قولك ان اتيتني ان كلمتني اكرمتك فقولك ان كلمتني اكرمتك جواب قولك ان اتيتني

اكرمتك وهي مسالة اعتراض الشرط على الشرط وفي مثله يكون الجزاء المذكور معلقا على الشرط المذكور اولا و
واقعا عند وقوع ذلك الشرط بشرط حصول الشرط الثاني ولما كان حصول الشرط
الثاني شرطا لكون الشرط الاول مستلزما للجزاء ومن المعلوم ان الشرط مقدم على المشروط في الوجود وجب الا يحكم بحصول الجزاء الا عند وجود الشرط
الاول بعد دخول الشرط الثاني في قولك ان اتيتني ان كلمتني اكرمتك ان اتاه ثم كلمه لم يحنث الا ان يكلمه ثم
الكلام ولو قال انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق لانعكاس الشرط لكن لو كلمت
ثم دخلت تطلق قال الامام ولكن ينبغي ان نتصور ان ارشاده النصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه معلق على شرط اخر و
هذا يقتضي ان يكون الشرط المؤخر في اللفظ متقدما في الوجود وذلك لان الرجل اذا قال لامرأته انت طالق
ان دخلت الدار كان المفهوم كون ذلك الدخول شرطا لوقوع الطلاق فاذا ذكر بعده شرطا اخر مثل ان يقول ان اكلت الخبز
كان المعنى ان تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول مشروط بحصول الشرط الثاني والشرط مقدم على المشروط في الوجود
فعلى هذا ان حصل الشرط الثاني تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول واذا لم يوجد الشرط الثاني لم يتعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الاول
ولهذا المعنى قال الفقهاء ان الشرط المؤخر في اللفظ متقدم في المعنى والمقدم في اللفظ متاخر في المعنى قوله
وهو جواب لما او هو اعتراض جدالك كلام بلا طائل مع ان جدالك معهم انما هو نصح لهم وارشاد الى
اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وازالة لشبهاتهم الواهية ولما كانت هذه الاية حجة لنا
على المعتزلة القائلين بان كفر العبد بارادته لا بارادة الله تعالى وارادته قالوا ظاهر الاية يدل على انه لو كان
اراد اغواء القوم لم ينفعهم نصح الرسول وهذا مسلم فانا نعرف ان الله تعالى لو اراد اغواء قوم لا ينفعهم نصح
الناصحين لكن لم قلتم انه تعالى اراد الاغواء وليس في الاية الا ذلك قوله او يهلككم من غوى الفصيل اذا بشم
بشم الفصيل من كثرة شرب اللبن قوله كلام يعترضون افتراه ام فيه منقطعة اي بل
عن حكاية جواب نوح لقومه اي انكار ما كانوا في حقه عليه السلام من انه اختلق الوحي الذي يلقيه اليهم وافتعله
وجاء به من عند نفسه بل ايقول قوم نوح انه اختلق الوحي على ان الضمير المرفوع المستتر في افتراه لنوح عليه السلام
والبارز للوحي الذي يلقيه اليهم فان اكثر المفسرين على انه من كلام نوح وقال مقاتل الضمير المستتر فيه راجع
الى محمد عم ووقع هذا الكلام الواقع في قصة محمد صلى الله عليه وسلم في اثناء قصة نوح على طريق الاضراب
عن بيان قصة نوح الى انكار ما يقوله اهل مكة في حق نبينا والمعنى ام يقول اهل مكة افترى محمد القرآن و
اختلقه من تلقاء نفسه قل يا محمد ان اختلقته فعلي جزاء جرمي وانا بريء مما تجرمون ثم رجع الى
قصة نوح والجمهور على كسر همزة اجرامي وهو مصدر اجرم اي كسب ذنبا وقرئ في الشواذ اجرامي
بفتحها وهو جمع جرم كقفل واقفال وقوله ان افتريته لا يدل على انه كان شاكا
من القبول وفي الكلام حذف مضاف اي فعلي وبال اجرامي وعقاب جرمي فالمعنى ان كنت افتريته فعلي عقاب اجرامي وان
صدقت فعليكم عقاب تكذيبي وحذف بقية الكلام لدلالة قوله وانا بريء مما تجرمون عليها قال ابن عباس لبث نوح بعد الطوفان سنة